



قام شعبنا السُّوريُّ بثورته الباسلة، فواجهته صعابٌ وشدادٌ، لا يصبر على مثلها إلا من ثبته الله.

واجهته أخلاقٌ فاسدة، ممَّن تربوا على أخلاقِ النظام الأسدِيِّ المجرم، فظلوا أوفياءٍ للرّشوة والسرقة والكذب والنصب والاحتيال،

فلاقى الثوار منهم ما لاقوا، وواجهتهم خلالُ المنافقين الخبيثة، ممَّن يسارع لأيِّ قوةٍ تظهر، فيداعبها، ويناغمها، ويظهر لها الولاء، ويعمل جاهداً على الإضرار بالمجاهدين، يدل على عوراتهم، ويقدم الخدمات في إضعافهم، وهو خبيثٌ خائنٌ، لا تهمه إلا مصالح ذاته... نعم واجهتهم مفاسد عظيمة، خلُفها نظام طاغية على مدار خمسين سنة.

قام الشعب السوري في ثورته، مطالباً بحربيته وكرامته، ساعياً للخلاص من الفساد والظلم والاستبداد، ليحيا كما تحيا الشعوب الأخرى، وهو محبٌّ لإسلامه، معتزٌّ بعقيدته، متفائل بالعيش في ظلال شريعة ربه.

فواجهته لذلك مشكلتان شديدةان، كلُّ واحدة تقارب الأخرى في الضرر والتأثير:

الأولى: لما رأى الغرب تكبيرات السوريين في ساحاتهم، وسجاداتهم في ثكناتهم ومراكم رباطهم، هالَّهم الأمر، وأفزعَهم المشهد، فرأوا خيالَ الفاروق عمر بين الجموع، وبريقَ سيف ابن الوليد يلوح في الأفق، فتناسوا ما دَعوه من حرية للشعوب... فراحوا يكيدون ويمكرُون بالمستضعفين من أهل الشام، فمنعوهم سلاحاً صَدَّ عدوان الطائرات، وضيقوا عليهم حتى كادوا يخنقونهم، ويعذبونهم تسيم الهواء.

والثانية: جماعة ممَّن تقاصرَ علْمُهُمْ، وتضاءَلْ فَهُمُّهُمْ، وتعاظمتْ أَهْدَافُهُمْ ورَغْبَاتُهُمْ، وكُبُرْ إعْجَابُهُمْ بِأَنفُسِهِمْ وَتَنْظِيمَاتِهِمْ، فَلَا يَسْتَمِعُونَ لِعَالَمٍ، وَلَا يُصْغِفُونَ لِنَاصِحٍ.. فَلَمَا أَبْصَرُوا الْحَالَ، وَتَبَيَّنُوا مِنْ مَحْبَةِ النَّاسِ لِدِينِ ذِي الْجَلَلِ، رَاحُوا يُلْهِبُونَ مَشَاعِرِهِمْ بِحَرْبِ الْطَّوَاغِيْتِ وَنَحْرِهَا، وَإِسْقَاطِ عَوَاصِمِ الْكَفَرِ وَدُحْرِهَا، وَإِلْعَانِ خَلَافَةِ الإِسْلَامِ وَرَفْعِ رَأْيِهَا، دُونَ تَقْدِيرِ لِلْعَقَبَاتِ أَوْ دَرَاسَةِ الْقَدَرَاتِ، فَمَنْ أَجَابَهُمْ فَهُوَ الْمُسْلِمُ الصَّادِقُ، وَمَنْ دَعَا لِلْتَّرَيْثِ فَهُوَ الْمُرْتَدُ الْخَانِعُ... فَتَرَكَ هُؤُلَاءِ النَّظَامَ النَّصِيرِيَّ وَجَرَائِمَهُ، وَتَوَجَّهُوا إِلَى الشَّعْبِ الْمُنْكُوبِ يَطْعَنُونَهُ فِي خَاصِرَتِهِ...!

قَامَ شَعْبُنَا السُّورِيَّ بِثُورَتِهِ، فِي عَفْوِيَّةِ الثُّورَةِ وَسُجْيَتِهَا، وَهُوَ وَاضِعٌ إِسْقَاطِ النَّظَامِ الْفَاسِدِ هَدْفَهُ، وَكَرَامَةِ أَهْلِهِ أَمْنِيَّتِهِ، وَرَضَا اللَّهِ فَوْقَ جَبِينِهِ، فَلَا حَزَبِيَّةَ تَمْزِقُهُ، وَلَا نَخْبُوَيَّةَ تَخْلُّلُهُ، فَكَانَ الْأَمْلَ بِالنَّصْرِ رِبْيَعُ قُلُوبِ كُلِّ الْشَّرْفَاءِ، وَالْخُوفُ وَالرُّعْبُ يَمْلأُ نُفُوسَ أَجْهَزَةِ أَمْنِ النَّظَامِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْمَنَافِقِينَ وَالْعَمَلَادِ... وَلَكِنْ بِقَيَا فَسَادَ النَّظَامِ الْبَغْيَانِ، وَطَيْشَ الْغَلَّةِ الْمَرِينِ، وَمَكْرُ الْعَدُوِّ الْخَبِيثِ، وَاسْتِمْرَارُ وَتَزْاِيدُ إِجْرَامِ نَظَامِ الْأَسْدِ عَلَى الْأَعْرَاضِ وَالْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ... كُلُّ ذَلِكَ أَرَقُّ الثُّورَةِ وَأَتَعَبَهَا، بَلْ كَادَ أَنْ يَحُولَ الثُّورَةَ إِلَى خَلَافٍ عَلَى الثُّورَةِ نَفْسَهَا.

وَالْيَوْمُ - وَفِي هَذِهِ الْمَرْجَلَةِ خَاصَّةً - تَحْتَاجُ ثُورَةُ الشَّامِ إِلَى أَمْرَوْنِ عَظِيمَةٍ، يَجْبُ التَّرْكِيزُ عَلَيْهَا، وَالدِّنْدَنَةُ حَوْلُهَا، وَعَلَى رَأْسِ ذَلِكَ رَصُّ الصَّفَوْفِ مِنْ أَجْلِ إِسْقَاطِ النَّظَامِ وَإِزْالَتِهِ، فَلَا نَشْغَلُ بِأَمْرَوْنِ أُخْرَى، تَؤْخِرُنَا كَمَا تَأْخِرُنَا، وَتَسْتَنْذِفُ طَاقَاتِنَا كَمَا فَعَلَ بِنَا.

كَمَا عَلَيْنَا أَنْ نَرْكِزَ عَلَى رِعَايَةِ الْمَهَجَرِيِّينَ وَإِعْانَتِهِمْ، وَإِطْعَامِ الْجَيَاعِ وَسَدِّ حَاجَاتِهِمْ، وَهُنَا تَقوِيُّ الْحَاجَةِ لِلْقِيَامِ بِحَرْكَةِ اِقْتَصَادِيَّةِ تَنْمُويَّةِ اِسْتِثْمَارِيَّةِ، نَسْتَثْمِرُ مَا عَنَّنَا مِنْ ثَرَوَاتِهِ.

وَحَثَّ الشَّعَبُ كُلَّهُ عَلَى الالْتَحَاقِ بِهِذَا الْجَهَادِ الْكَبِيرِ... كُلُّ حَسْبِ طَاقَاتِهِ وَقَدْرَاتِهِ، لَذُكْ - وَمِنْ أَجْلِ اسْتِثْنَاءِ الْهَمِّ - لَا بَدَّ مِنْ بَيَانِ الْخَطَرِ الْدَّاهِمِ عَلَى الإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، مِنَ النَّصِيرِيَّةِ الْحَاقِدِينَ، وَالرَّافِضَةِ الْمُجْرَمِينَ، وَالْعَلَمَانِيَّةِ الْخَادِعِينَ، وَالْغَلَّةِ الْخَارِجِينَ، فَقَدْ رَأَيْنَا كَيْفَ تَفَاعَلَتِ الْأَمْمَةُ وَتَحْرَكَتِ فِي قَضِيَّةِ نَشْرِ الرَّسُومِ الْمُسَيَّئَةِ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!

كَمَا يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَصْوِغَ مِنْ جَهَادِنَا الْمُبَارَكِ أَهْدَافًا عَمَلِيَّةً مَرْحَلَيَّةً مَتَدَرِّجَةً، نَرَاعِي فِي ذَلِكَ إِمْكَانَاتِ الْقَدَرَاتِ، لِنَفْتَحَ بَابَ الْمَشَارِكَةِ لِجَمِيعِ النَّاسِ، وَنَضْعُ فِي حَسْبَانِنَا الْمَخَاطِرَ وَالْمَصَاعِبَ، دُونَ تَجَاهِلِ لِعَامِلِ الزَّمِنِ أَوْ إِهْمَالِ لِوَسَائِلِ الدَّعْمِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْمَادِيَّةِ... وَالْعَمَلُ - بِكُلِّ قُوَّةٍ - عَلَى إِحْيَاءِ عَفْوِيَّةِ الثُّورَةِ وَبِسَاطَتِهَا، وَبِذَلِّ الْوَسْعِ فِي مَلَامِسَةِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ صَدَقٍ وَإِخْلَاصٍ، وَمَا اتَّسَمَتْ بِهِ مِنْ مَحْبَةٍ وَإِيَّاثَرٍ.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.

الشَّامُ الْيَوْمُ

المصادر: